PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(7): 148-165
ISSN:1553-6939

Mystical interpretation at the to Imam Al-Senussi through his book: Jenan's Nuzha in the descriptions of the interpreter of the Quran

Dr. Lazhari Demmana[1], Dr. Ameur Merigui[2]

[1]University Amar Telidji Laghouat, Algeria, Research Center in Islamic Sciences and Civilization in Laghouat (CRSIC) Algeria, E-mail**:** l.demmana@lagh-univ.dz

[2]Research Center in Islamic Sciences and Civilization in Laghouat (CRSIC) Algeria, E-mail**:** a.merigui@crsic.dz

Received: 06/2024, Published: 07/2024

Abstract:

The researchers in these papers took note of the scientists of Algeria Imam Muhammad bin Ali al-Senussi al-Maliki al-Sufi through his book Outing the Jenin in the descriptions of the interpreter of the Quran. "The woolly interpretation at Imam Senussi through his book The Outing of the Jenin in the descriptions of the interpreter of the Quran" The imam gave an important conclusion in his book he called "In Sufi Interpretations" The researcher worked on this conclusion, asking a broad question, "What is the forward position on mystical interpretation?" This question has been separated by other questions: What is a mystical interpretation? Who is Imam Muhammad bin Ali al-Senussi? In response to these problems, the researcher used a plan in which he employed the analytical descriptive curriculum, finally arriving at the important conclusion that Imam al-Senussi's attitude to the mystical interpretation that what is given to them is not for their minds, but rather the talents of God bring them as ready as they are and as strong and unwavering as subconscious.

Keywords: Senussi; Sufi; interpretations; nozhato al jinan.

التفسير الصوفي عند الامام السنوسي من خلال كتابه: نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن

لزهاري دمانة[1]، عامر مريقي[2]

[1]جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط (الجزائر)، البريد الالكتروني: l.demmana@lagh-univ.dz

[2]مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط (الجزائر)، البريد الالكتروني: a.merigui@crsic.dz

ملخص:

تناول الباحثان في هذه الورقات علما من علماء الجزائر الامام محمد بن علي السنوسي المالكي الصوفي من خلال كتابه نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن وجاء عنوان المقال "التفسير الصوفي عند الامام السنوسي من خلال كتابه نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن" حيث أفرد الإمام خاتمة مهمة في كتابه سماها "في تفاسير الصوفية" وعمل الباحث على هذه الخاتمة بسؤال اشكالي عريض ما موقف الامام من التفسير الصوفي؟ تفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى: ما المقصود بالتفسير الصوفي؟ من هو الإمام محمد بن علي السنوسي؟ والاجابة عن هذه الاشكاليات استعمل الباحث خطة وظف فيها المنهج الوصفي التحليلي، وصولا في الاخير إلى نتيجة مهة أن موقف الإمام السنوسي من التفسير الصوفي أن مايلقى إليهم لا تصرف لعقولهم فيه، وإنما هي مواهب من الله تأتيهم على قدر استعدادهم ومراتبهم إيمانا وتقوى ولا مطمع في الوصول الى الباطن فبل إحكام الظاهر.

الكلمات المقتاحية: السنوسي؛ الصوفي؛ التفاسير؛ نزهة الجنان.

مقدمة :

الحمد لله منزل الكتاب، ومجري السحاب وهازم الأحزاب، والصلاة والسلام على شفيعنا يوم المآب.

أما بعد: فإن الله عز وجل أنزل خاتم كتبه، على خير أنبيائه ورسله؛ ليكون للعالمين نذيرا، فانقسم الناس في تلقّيه أحزابا} فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ] {فاطر: 32[

ولئن كان هذا القرءان} تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ] {الزمر: 23] فإن هناك من} يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ] {التوبة: 32] وما يزال هذا دأبهم جيلا بعد جيل} أَتَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ] {الذاريات: 53] فكان الواجب على علماء الأمة خدمة كتابها، وتبيين علومه، والذبّ عنه، خاصة في تلك الأوقات العصيبة التي تنطلق فيها سهام التشكيك من كل صوب. وقد تصدر للقيام بهذه المهمة علماء على مر التاريخ من خلال مادونه من أسفار فسروا كتاب الله العزيز بقدر الطاقة البشرية، فتفسير القرآن وفهم مقاصده ومعانيه كان ولا يزال أحد أهم العلوم التي اهتم بها المسلمين منذ نزول الوحي على حبيبنا ومعلمنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحتى اليوم، وبالرغم من أن تدوين علم التفسير بدأ بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، إلا أن التفسير نفسه بدأ منذ عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فهو أول من فسر القرآن الكريم.

وإن كان اهتمام العلماء على تفسير كتاب الله عز وجل أخذ حظا كبيرا، فإن العلماء كذلك اهتموا بالعلوم الخادمة له أي للتفسير والتي سميت بعلوم القرآن، فدونت كتب كثيرة جدا بدء من فنون الأفنان لابن الجوزي إلى يوم الناس هذا، وكان من بين هؤلاء الذين دونوا في علوم القرآن الامام محمد بن علي السنوسي من خلال رسالته المسماة بـ: نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، وتعد هذه الرسالة برغم من قلة عدد صفحاتها إلا أنها مهمة جدا في بابها، حيث حملت الرسالة محاور مهمة في باب التفسير كالفرق بين التفسير والتأويل ، طبقات التفسير وغيرها، وقد ختم الإمام رسالته بالكلام عن تفاسير الصوفية، ولأهمية هذه الخاتمة اخترتنا هذا الجزء من خلال العنوان التالي التفسير الصوفي عند الإمام محمد بن علي السنوسي من خلال كتابه نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن.

الاشكالية:

عمل الباحث على هذه الخاتمة من رسالة الإمام مستشكلا بسؤال عريض محوري يتمثل في :

– ما موقف الامام من التفسير الصوفي؟ تفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى:

–ما المقصود بالتفسير الصوفي؟

–من هو الإمام محمد بن علي السنوسي؟

أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى:

–بيان موفق الإمام من تفاسير الصوفية .

–التعريف بالإمام محمد بن علي السنوسي.

– التعريف بكتاب نزهة الجنان وبيان منهجه فيه.

منهج الدراسة : اعتمد الباحثان للإجابة عن الاشكالية المطروحة والوصول للأهداف المرجوة المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف ظاهرة التصوف بصورتها الأساسية مع الإهتمام بوضع إطار وصفي لها، والمنهج التحليلي: من خلال تحليل نصوص وآراء العلماء حول التصوف وما ذكره الإمام السنوسي لنصل إلى موقف الامام حول التصوف بصورة سليمة.

خطة البحث: وضع الباحثان خطة تتمثل في

مقدمة :

أولاً: ترجمة الإمام محمد بن علي السنوسي.

ثانياً: التعريف بكتابه وبيان منهجه فيه.

ثالثاً : التفسير والتفسير الصوفي.

رابعاً "في تفاسير الصوفية " عند الامام السنوسي.

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

أولا: ترجمة الإمام محمد بن علي السنوسي

سنحاول في بداية بحثنا أن نتعرف عن الإمام السنوسي بترجمة مختصرة نتقيد فيها بذكر أهم محطات حياته، كمايلي:

1–اسمه وألقابه :

هو الأستاذ الأكبر محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي المالكي الأشعري الجزائري المستغانمي الجقبوبي ، أبو عبد الله ، مؤسس الطريقة السنوسية[1].

ولد الامام يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأنوار –ربيع االأول– سنة 1202هـ الموافق لـ22 ديسمبر 1787م بدوار المهايدية التابعة إداريا لبلدية السوافلية بولاية مستغانم، نشأ في بيت علم ودين وكغيره من أولاد منطقته حفظ القرآن منذ صغره، حيث تولت عائلته السنوسية بتعليمه وتدريسه شتى العلوم كان على رأسهم عمته فاطمة التي كان لها قدر كبير وعلم وفير، وكذلك ابن عمه الشيخ الفاضل محمد السنوسي وزوج عمته محمد بن قعمش الطهراوي وغيرهم من أفاضل عائلته، ومع من كان من مشايخ مستغانم[2].

2–الرحلة في طلب العلم :

[1] هذه الألقاب لقب بها الأستاذ أشار إليها الكثير منهم حفيده السيد أحمد الشريف فيقول :" بأمر أستاذنا...." ولقب المالكية وهو مذهب الامام مالك، أما أشعري فهو مذهبه العقدي فمذهب الامام الأشعري هو الصراط المستقيم، الوسط بين طرفي الافراط والتفريط، السالم من آفة التشبيه والتعطيل، وآفتي التجسيم والزيغ في التأويل "ينظر:شيم البارق في ديم النهارق ، مخطوط 93–96.

[2] ينظر: عبد المالك بن عبد القادر بن علي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، مطبعة دار الجزائر العربية 1386هـ–1966م، ص6–7

لم يكتف الامام السنوسي رحمه الله بما جاد عليه علماء بلدته وهذا دأب العلماء، فارتحل إلى حاضرة مازونة بولاية غيلزان ثم تلمسان التي كانت وجهة كل عالم جزائري، ثم جامع القرويين بفاس وأخذ عن علمائها وأجيز هنالك بعلوم كثيرة ولقب بـ"المشيخة الكبرى"[3] ثم رجع آفلاً إلى مسقط رأسه، متزودا مرة أخرى من نبعها، متوغلا في صحراء الجزائر حيث زار عدة زوايا.

توجه الامام رحمه الله بعد ذلك الى الحجاز سنة 1823م وقبل الوصول الى البثاع المقدسة زار جامع الزيتونة بتونس ثم ليبيا فمصر بالجامع الأزهر حتى وصل إلى مكة، التي مكث فيها قرابة خمس عشرة سنة متنقلا بين مكة والمدينة، راوده الحنين الى الجزائر سنة 1840 م في هذه الفترة كان عمر الاحتلال الفرنسي عشر سنوات، ولم يزل الامام يرتحل بين الشرق والغرب الى أن وافته المنية يوم الاربعاء التاسع من شهر صفر 1276هـ الموافق لـ الثامن من شهر أغسطس 1859م بمكان يسمى الجغبوب بليبيا.

وقد أفادته هذه الرحلات والتنقلات بمايلي :

-لقاء المشيخة والعلماء والاجازات التي تحصل عليها.

-تأليف كثير من الكتب كلما ستحت له الفرصة مثل كتاب "بغية السول في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول" في الجزائر وكتاب المراصد في الحجاز[4]..

- التصور الجديد ورؤى الاصلاح التربوي التي تراءات للإمام في ترحاله خاصة في مصر[5] كما ترسخت لديه من خلال معرفته بطرق الصوفية وملازمته لها، أن يجد لنفسه طريقا يسلك به سبيل أصحاب الأرباب والسلوك، تجسد ذلك وظهر جليا من خلال تأسيس عدة زوايا: كزاوية البيضاء في ليبيا وهي أول زاوية في ليبيا[6]، زاوية الجغبوب في ليبيا أيضا حيث يقول " إياكم ومن يزهدكم في العلم ممن لا خبرة له بما عليه أماثل القوم من اقتباس العلوم الأربعة التي هي علوم الذات والصفات والحديث والفقه والآلات حسبما هو مبين عند الشاذلي وزروق رضي الله عنهم"[7].

3-مؤلفاته:

من خلال رحلات الإمام التي جاب بها شرق البلاد وغربها من المحيط إلى الخليج، فقد ساعدته على امتلاك ناصية العلم وقلم التأليف، وتعددت لديه مناهج العلماء باختلاف المدارس التي تلقى علم عنها، ويمكن الجزم بأن الإمام رحمه الله كان موسوعة علمية جمعت فنون العلم فقد بلغ عدد مؤلفاته العلمية 58 مؤلفاً تنوعت بين علوم

[3] ينظر: أحمد صدقي التجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، ط1، 1967م ص47.

[4] ينظر : محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1948م، ص18.

[5] ينظر: السنوسي محمد بن علي، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، تح: أحمد محمد جاد الله، دار الغوثاني للذراسات القرآنية ط1، 1444هـ-2023م، القسم الأول الدراسة، ص21.

[6] ينظر: الفوائد الجلية، ص30، ص45.

[7] ينظر: عبد الوهاب الشعراني،الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية،طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عبد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م، تح:، ص56.

القرآن والحديث والفقه والتزكية والسلوك وأصول الطرائق، مع الاشارة أن هذه المصادر منها ما هو مطبوع، ومنها المخطوط –وللأسف منها المفقود[8].

ثانيا: التعريف بكتابه وبيان منهجه فيه.

1–عنوان المؤلَف ونسبته للإمام : "نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن" هكذا جاء العنوان في خزانة تطوان –بالمغرب–من غير ذكر اسم المؤلِف: يقول الدكتور أحمد محمد جاد الله :" حيث أوردوا عنوان هذا المخطوط تحت رقم : 87384.. وذكروا له نسخة واحدة هي المحفوظة في خزانة تطوان بالمغرب، وقد تَأكدت عندي نسبتها إلي مؤلفها– أي السنوسي– حيث ذكرها حفيده السيد أحمد الشريف في المرصد الثاني من مخطوط " الشموس النورانية" في فصل خصصه لذكر بعض أسماء تآليف جده فقال:" وله –أيضاً– نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن "[9].

2–سبب التأليف: بين الإمام محمد بن علي السنوسي رحمه الله سبب تأليف كتابه نزهة الجنان بقوله : " فقد كان جرى بيننا وبين بعض أحبة أخدان، ممن يتعاطى تفسير القرآن، كلام يتعلق بأوصاف مفسره، ممن لم يحذق سور الأكوان في سيره، وما فيه من الشروك عند علماء الرسوم، وما يتوقف عليه عند ذوي البصائر مما يلقى في روعه من الفهوم"[10].

3–طبعة الكتاب ومنهج الإمام: طبع الكتاب ولله الحمد وخرج إلى النور باذنه سبحانه، ويعود الفضل –بعد الله عزوجل– إلى المحقق الدكتور أحمد محمد جاد الله حيث –وكما يقول –أن فكرة التحقيق كانت تراوده، وبعد مؤتمر الدولي المعنون بالجهود الليبية في تفسير القرآن وعلومه، عكف على تحقيقه، حيث ظهر الكتاب في حلة قشيبة زاهية ملونة، وطريقة مثلى في تخريج المتن والحاشية السفلية، حيث قسم المحقق العمل إلى قسمين[11]. :

القسم الاول: الدراسة واشتملت على مبحثين خصص المبحث الاول للأستاذ سيرته ومنهجه، وأثاره العلمية وتضمن المبحث الثاني : قراءة في رسالة نزهة الجنان.

القسم الثاني: التحقيق واشتمل على مبحثين: المبحث الاول المنهج المتبع في التحقيق ووصف المخطوط، أما الثاني: النص المحقق، وذلل الدكتور عمله بفهارس فنية تسهل للقارئ الوصول الى المبتغى، وقد طبع الكتاب كطبعة أولى من طرف دار الغوثاني للدراسات القرآنية، كائن موقعها باسطنبول سنة 1444هـ الموافق لسنة 2023م، في مجلد واحد عدد صفحاته 224، قياس الكتاب 17*24 سم.

4–منهجه في الكتاب: اتخذ الإمام السنوسي الاختصار منهجاً في كتابه حيث بلغ عدد صفحات النص المحقق 90 صفحة فقط من مجموع صفحات الكتاب، ومع قلة هذه الورقات إلا أنها حملت بحق لآلئ ودرر، فالرسالة

[8] ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت، لبنان،ط2، 1400هـ–1980م.ص 179–180. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة،، مكتبة المثنى،بيروت ، دار إحياء التراث العربي،بيروت ، ن.ط، د.ت، ج11 ص14.

[9] ينظر: كلام المحقق الدكتور أحمد محمد جاد الله نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، القسم الأول الدراسة، ص39.

[10] ينظر: مقدمة نزهة الجنان ص73

[11] ينظر: كلام المحقق الدكتور أحمد محمد جاد الله نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، ص16، (بتصرف)

جاءت في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، تضمنت المقدمة معنى التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً، كما خصص الباب الاول عن شروط تعاطي التفسير والتصدي له، بينما تكلم الباب الثاني على آداب التفسير في حال إلقاءه أما الباب الثالث فخصص للحديث عن طبقات المفسرين وتضمنت خاتمة الرسالة الكلام عن تفاسير الصوفية[12].

ثالثاً : التفسير والتفسير الصوفي :

قبل أن الولوج إلى صلب البحث في هذا المقال، فإن المقام يقتضي أن نعرف بالمفاهيم التي تدخل ضمن تركيبة العنوان وبيان مصطلحاته ومتغيراته كالآتي:

1- التفسير لغةً: التفسير في اللغة تفعيل من الفسر بمعنى الإبانة والاكشف والإظهار المعنى المعقول جاء عن ابن منظور في " لسان العرب" بقوله: فسر الفِسْر: البيان، فسر الشيء، يفسره، بالكسر، ويفسره بالضم، فسرا، وفسره :أبانه قوله عز وجل :﴿ **إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾ [الفرقان، الآية 33]، قال ابن عباس:" أحسن تفسيرا أي تفصيلا"

والفسر: كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي، والفسر: نظر الطبيب إلى الماء، وكذالك التفسرة.[13]

وعرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه "العين " بقوله:

فسر: الفسرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفسره يفسره فسراَ، وفسره تفسيراَ[14]

كما عرفه ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة " بقوله: فسر: الفاء والسين والراء، كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر يقال: فسرت الشيء وفسرته، والفسر و التفسيرة: نظر الطبيب للماء وحكمه فيه[15].

وعرفه الفيروز أبادي في قاموسه " المحيط " بقوله:

الفسر: ٱلإبانة، وكشف المغطى، كالتفسير، والفعل كضرب ونصر، ونظر الطبيب للماء[16].

فالفيروز آبادي يرجعه إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسيرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها و معناها و السبب الذي أنزلت فيه.[17]

---

12 ينظر: كلام المحقق الدكتور أحمد محمد جاد الله نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، ص40-41

13 ابن منظور الإفريقي المصري، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، د. طبعة، ج05، ص55.

14 أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) ، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ،ج7، ص247.

15 أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر الطبعة 1979،ج04، ص504.

16 الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثامنة، بيروت لبنان، 2005، ص456.

وقبل بيان التفسير اصطلاحا نشير إلى أن الإمام السنوسي ذكر في مقدمة كتابه نزهة الجنان أن المعنى اللغوي للتفسير يأتي على معاني ثلاثة[18] هي :

–تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف قال ثعلب : فسرت الفرس: عريته ليطلق

حرا فكأنه كشف ظهره يقول السنوسي فتسميته بذلك لكشفه وبيانه المعاني اتلمعقولة والألفاظ المنقولة

– من مقلوب السفر يقال أسفرت المرآة : كشفت عن وجهها فهي سافرة فهو

راجع للكشف والبيان كالأول.

–مأخوذ من التفسرة : وهو اسم لما يعرف به الطبيب المرض وهو الماء ينظر

إليه لميز طبعه وعلته.

2– التفسير في الاصطلاح: تعددت وتنوعت الحدود التي أطلقها العلماء على المصطلح، ويعود ذلك بالأساس لتعلقه بكتاب الله تعالى، فحتاج الامر ضبطا دقيقا يتناسب مع شرف المعرف، ولأن الكلام المقصود هو الكلام الإلهي " فليس قواعد أو ملكات ناشئة عن مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية.[19]

من بين هذه الحدود :

عرفه بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" بقوله: وهو علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلي الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.[20]

ويعرفه أبو حيان الأندلسي صاحب "البحر المحيط " في تفسيره بقوله:

التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحصل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك .[21]

وعرفه الزرقاني في كتابه" مناهل العرفان في علوم القرآن " بقوله: التفسير علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[22]

---

17 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث الطبعة الثالثة، القاهرة، مصر، سنة 1984، ص147.

18 السنوسي محمد بن علي، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، ص74.

19 مشرف بن أحمد الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير و التنوير رسالة دكتوراه، إشراف : أمين محمد عطية باشة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة 2006، ص521.

20 المصدر السابق ، ص22.

21 أبو حيان الأندلسي محمد ابن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ج01، بيروت، لبنان، ص10 .

3-التفسير والتأويل عند الامام السنوسي:أورد الأمام السنوسي رحمه الله تعريف أبي حيان الأندلسي شارحا قيود التعريف كما ذكرها أبو حيان في البحر المحيط.

كما أشار الإمام السنوسي إلى معنى التأويل بقوله "وأما التأويل فهو هو عين التفسير، فيكونان لفظين مترادفين بمعنى واحد، ويكون تفسيرهما واحداً، وكل له معنى يخصه. خلافٌ

ثم ذكر الامام رحمه الله ماجاء في الاتقان عند السيوطي في الفرق بين التفسير والتأويل ساردا الأقوال العشرة " فهذه عشرة أقوال في الفرق بينهما، ولم يبين –السيوطي– الراجح منها، والذي يظهر –كما في لباب التأويل – أن التفسير يتوقف على صحة النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح" [23]

رابعاً "في تفاسير الصوفية " عند الامام السنوسي:

قبل التطرق لموقف الامام السنوسي للتفسير الصوفي وما جاء في خاتمة كتابه، لابد أولا من تصور مسألة التصوف لكي يكون الحكم عن التفسير الصوفي أقرب إلى الصحة أو أكثر إنصافا وهذا من خلال آراء العلماء، ولهذا سنبين مفهوم التفسير الصوفي وفي الأخير نعرج لما ذكره الإمام رحمه الله حول التفسير الصوفي .

1-مفهوم التفسير الصوفي :

التفسير الصوفي مركب إضافي من كلمة التفسير وكلمة " الصوفي " وبما أننا تكلمنا عن التفسير في العنصر السابق نتكلم عن الجزء الثاني من المركب وهو الصوفي أو الصوفية أو التصوف.

أصل الكلمة: اختلف العلماء في أصلها اللغوي الذى اشتقت منه، على عدة أقوال لم تسلم كلها من النقد والاعتراض، إما لغة وإما واقعا تاريخيا، ما عدا القول الذى ينص على أنه مشتق من الصوف[24]، وقد بحث الدكتور محمد كمال ابراهيم جعفر عن أصل الكلمة[25]، وذكر أن العلماء انتهجوا طريقين، طريقٌ اشتقاقي محض مثل: لبس الصوف، صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، صفاء القلب، الصف، صوفة ولد بن الغوث بن مر.

أما الطريق الثاني : وأصحاب هذا الطريق يرفضون وجود أصل اشتقاقي للكلمة، ويذهبون إلى أن هذا اللفظ استعمل كلقب وأطلق على نشاط معين.

---

22 الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1995، ج02، ص6.

[23] السنوسي محمد بن علي، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، ص78. نقل الامام السنوسي هذا الكلام عن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ)، لباب
التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1415هـ، ج1، ص12.

[24] ينظر: محمد كمال ابراهيم جعفر، التصوف طريقاً وتجربةً ومذهباً ، دار الكتب العلمية، 1970م، ص1-4

[25] الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423هـ-2002م، ص282-285.

وعقب الدكتور كلامه أن الدلائل تشير إلى أن أقرب الفروض إلى الصحة هو فرض نسبة الصوف باعتباره شارة دالة في وقت معين على منهج خاص، ثم تنوسيت العلاقة بين أصل التسمية وحقيقة المسمى من غير أن نستنبط من ذلك تقليدا للمسيحية في اللباس." [26]

2-التصوف اصطلاحا:

لا غرابة في اختلاف العلماء حول تعريف التصوف بسبب اختلافهم في أصله واشتقاقه فقد نقل قطب الدين أبو المظفر منصور بن المروزي أكثر من عشرين تعريفا، وكذلك السراج الطوسي، والكلاباذي، والسهروردي، وابن عجيبة الحسني، وأما القشيري فلقد ذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفا من الصوفية المتقدمين. كما ذكر المستشرق نيكلسون ثمانية وسبعين تعريفا، وليس معنى ذلك أن هذا العدد هو الأخير في تعريف التصوف ، بل ذكر السراج في لمعة أن تعريفاته تتجاوز مائة تعريف، وقال السهروردي: "وأقوال المشائخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول" [27]

وطرح شيخ الأزهر الإمام الدكتور عبد الحليم محمود تساؤلا بعد طرح الآراء حول حقيقة التصوف حيث يقول :"والتصوف إذن ليس خلقاً فحسب، ولا زهداً فقط، ولا عبادة لا غير، وهو وإن كان متضمناً للخلق الكريم، والزهد الرفيع، والعبادة المتجردة، فإنه مع كل ذلك شيئ أخر....ماهو إذن التعريف الصحيح للتصوف؟[28].

-يقول أبو سعيد الخراز: من صفىَّ رَبُهُ قَلبَه، فامتلأ قلبه نوراً. ومن دخل في عين اللذة بذكر الله"[29].

- الجنيد البغدادي: التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به"[30].

-أبو بكر الكتاني:" التصوف صفاء ومشاهدة"[31].

فينقل السراج الطوسي أن الجنيد سئل عن التصوف ، فقال: "أن تكون مع الله تعالى بلا علاقه"[32].

---

[26] ينظر :محمد كمال ابراهيم جعفر، التصوف طريقاً وتجربةً ومذهباً ، دار الكتب العلمية، 1970م، ص4. والتصوف، مصطفى عبد الرزاق ص 57 إلى 62 ط دار الكتاب اللبناني بيروت

27 ينظر: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت ١٤٠٧هـ)، التَّصَوُّفُ .. المنشَأ وَالمَصَادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، ط1، 1406هـ-1986م .

28 ينظر: عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، دار المعارف، ط5، القاهرة، ص42

29 ينظر: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل،مكتبة الخانجي – القاهرة، ج5، ص 74. وأَبُو سعيد الخراز واسْمه أَحْمد بن عِيسَى وَهُوَ من أهل بَغْدَاد صحب ذَا النُّون الْمصْرِيّ وَأَبا عبد الله النباجي وَأَبا عبيد البسري وَصَحب أَيْضا سريا السَّقطِي وَبشر بن الْحَارِث وَغَيرهم وَهُوَ من أَئِمَّة الْقَوْم وَجلة مشايخهم قيل إِنَّه أول من تكلم فِي علم الفناء والبقاء مَاتَ سنة تسع وَسبعين وَمِائَتَيْنِ وَأسْندَ الحَدِيث(محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ-1998م) ، ص 183.

30 ينظر: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي ابن العديم (ت ٦٦٠)، بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب، تح:المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن – إنجلترا، ط1، 1438هـ-2016م، ج10، ص438.

31 ينظر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط2، 1407هـ-1986م.

وما من شك في أن تعاريف التصوف الكثيرة التي نجدها منثورة هنا وهناك، والتي تكاد تبلغ الألف إنما تعبر في أغلب الأحايين عن زاوية من زوايا التصوف، وتتصل بالوسيلة ، أو تتصل بالغاية، فلا يمكن أن يقال عنها إذا ما كانت كذلك، إنها خطأ تام، ولكن الخطأ إنما هو في أخذها، على أنها تعبر عن الحقيقة الكاملة. أما ما يعبر عن الحقيقة الكاملة. فإنما هو تعريف الكتاني:" التصوف صفاء ومشاهدة"[33].

3-تعريف التفسير الصوفي: ذُكرت حدود كثيرة نكتفي بما ذكره الامام السيوطي والإمام الآلوسي ونقله من المعاصرين الإمام الذهبي والصابوني كمايلي:

التفسير الصوفي :" التفسير الفيضي أو الإشاري هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهرُ منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة"[34]

وقال الصابوني: "التفسيرالإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة"

من خلال ماسبق نجد أن التعريفين متشابهين إلى حد ما مع تفصيل عند الامام الصابوني وقد تضمن كذلك شروط التفسير الصوفي أو الإشاري، والشرط الأساسي الذي لابد من توفره وكان عند العلماء أشبه بالاجماع هو عدم مخالفة الباطن المؤول للظاهر المصرح ويكمن اجماع تلك **الشروط على النحو الآتي** :

- ألا يكون التفسير الصوفي منافيا للظاهر من النظم القرآنى الكريم..
- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.
- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
- ألا يدعي أن التفسير الصوفي هو المراد وحده من الظاهر.
- ألا يكون التأويل بعيدا لا يحتمله اللفظ فيه تلبيس على أفهام الناس.
- ألا يعارض الاستعمال العربي.

وقد ذكر الامام الشاطبي شروط ثلاثة

- أَلاَّ يُدَّعى أَنه المُرَاد وَحده دون الظَّاهِر.
- أَن يُبيَّن الْمَعْنى الْمَوْضُوع لَهُ اللَّفْظ الْكَرِيم أَولا.
- أَلاَّ يكون من وَرَاء هَذَا التَّفْسِير الإشاري تشويش على المفسَّر لَهُ[35].

32 ينظر: إحسان إلهي ظهير، التَّصَوُّفُ .. المنشأ وَالمَصَادر، ص37.

33 ينظر: عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، ص47.

34 ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1393 هـ- 1974 م، ج4، ص224، التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ج2، ص342. محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ) ، مناهل العرفان للزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، ج2، ص78.

فإذا توفرت هذه الشروط، وليس للتفسير ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية، جاز الأخذ به أو تركه، لأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل نظري، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق، فيجده الصوفي من نفسه ويسره بينه وبين ربه، فله أن يأخذ به أو يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحدا من الناس، والأحرى ألا يسمى هذا اللون من الفهم تفسيرا وإنما يسمى ذكر النظير بالنظير الذي يعتبر صحيح.[36]

بالإضافة إلى سلامة معتقد المفسر وخلوص مقصده، "قَالَ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ الطَّبَرِيُّ فِي أَوَائِلِ تَفْسِيرِهِ: الْقَوْلُ فِي أدوات الْمُفَسِّرِ: اعْلَمْ أَنَّ مِنْ شَرْطِهِ صِحَّةُ الِاعْتِقَادِ أَوَّلًا وَلُزُومُ سُنَّةِ الدِّينِ فَإِنَّ مَنْ كَانَ مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ لَا يُؤْتَمَنُ عَلَى الدُّنْيَا فَكَيْفَ عَلَى الدِّينِ ثُمَّ لَا يُؤْتَمَنُ مِنَ الدِّينِ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ عَالِمٍ فَكَيْفَ يُؤْتَمَنُ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى"[37] فكثير من الأحيان نجد سبب انحراف التفسير عن جادة الحق هو طغيان النزعات أو الإنسياق وراء مقررات فكرية مسبقة أو تحقيق هدف سياسي أو اجتماعى، فإذا تحققت هذه الشروط فهو تأويل مقبول، ليست له غاية إلا تعميق الفهم عن الله الذي ما زال كتابه منبعا لا يغيض ومعينا لا ينضب للحقائق والأسرار[38].

4-قراءة في المؤلفات في التفسير الصوفي: قسم الذكتور فهد الرومي المفسرون السابقون في تفاسيرهم من ناحية التفسير الإشاري إلى أقسام خمسة:

الأول: من أعرض كل الإعراض عن هذا اللون من التفسير ولا تجد له فيه ذكرا، وأمثلة هذا النوع كثيرة.

الثاني: من التزم في أكثر تفسيره التفسير بالظاهر مع إشارات قليلة إلى التفسير الإشاري، ومثاله تفسير النيسابوري.

الثالث: من جعل غالب همه في التفسير الإشاري، لكن يضيف إليه بقلة التفسير الظاهر، كتفسير سهل التستري.

الرابع: من جعل همه كله في التفسير الإشاري ولا يشير مطلقا إلى التفسير الظاهر، كتفسير أبي عبد الرحمن السلمي.

الخامس: من جمع بين التفسير الإشاري والتفسير الصوفي النظري مع الإعراض كل الإعراض عن التفسير بالظاهر، وذلك كتفسير ابن عربي.

35 شايع بن عبده بن شايع الأسمري، مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة 24 العدد 115 1422 هـ-2002م، ص 56.

36 ينظر :محمد كمال ابراهيم جعفر، التصوف طريقاً وتجربةً ومذهباً ، ص4.

37 السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج4، ص 200.

38 ينظر :محمد كمال ابراهيم جعفر، التصوف طريقاً وتجربةً ومذهباً ، ص26.

هذه أقسام خمسة كان المفسرون عليها قديما، وإذا عدت إلى الحاضر لم تكد تجد أحدا من الأنواع الثلاثة الأخيرة، على حد علمي، أما اللون الأول فهو الموجود وبكثرة، وأما اللون الثاني فموجود ولكن أقل كثرة من سابقه [39].

يقول الامام الشاطبي رحمه الله ويمكن القول باستقراء التفسيرات الصوفية السابقة أن السمة الغالبة في التفسير الإشاري لدى الصوفية تتمثل فيما يأتي:

– أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم على زعمهم عن معارف لدنية مباشرة.

– أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى في بدايته وفى طرائقه وفي غاياته، فضلا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل، فالعالم لابد أن يكون عاملا وعمله هو جهاده ورياضاته التي تؤدى إلى صقل إرادته وشحذ همته وتنقية مرآته الباطنية من كل شائبة، فالتفسير عموما ليس تفسيرا مباشرا، بل يسلك تزكية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلى بالأخلاق الفاضلة.

– أن التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم تخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية.

– تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعاني والمصطلحات الصوفية التي تكشف عن طريقتهم وتجربتهم، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات.

–ومع ما فيها من معاني تقبل بصعوبة، أو يلتمس لها وجها تحمل عليه بمشقة.

–لم تسلم هذه التفسيرات من الإسرائيليات، والاستشهاد بغير القرآن والسنة، ولم تتبع الدقة في تحري ثبوت الحديث، أو مراعاة التعليق على الأسانيد، وكذلك لم تخل من فكر باطني[40].

5–موقف الامام "في تفاسير الصوفية " ختم الامام رحمه الله كتابه بالكلام عن تفاسير الصوفية، كما ذكرنا، وقد سلك في دراسته لهذا النوع من التفاسير المنهج المقارن، الذي يهدف الى تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر ولكن في فترات زمنيه مختلف، وهذا ما قام به الإمام رحمه الله

بذكر قول المذهب المخالف مع الادلة ثم ذكر المذهب الموافق ثم تحرير محل النزاع مع مناقشة الأدلة ثم الترجيح .

أولا : المذهب الأول نقل الامام السنوسي رحمه الله رأي من ينفي التفسير الصوفي حيث يقول نقلا عن السيوطي : "قال في الاتقان:" وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير" [41]

39 ينظر: فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،ج1، ص375

40 أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ–1997م. ج4،ص253 .

–قال ابن الصلاح في فتاويه، وقد سئل عن كلام الصوفية في القرآن: "وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي الْمُفَسّر رحمه الله أَنه قَالَ صنف أَبُو عبد الرَّحْمَن السّلمِيّ حقائق التَّفْسِير فَإِن كَانَ قد اعْتقد أَن ذَلِك تَفْسِير فقد كفر وَأَنا أَقُول الظَّن بِمن يوثق بِهِ مِنْهُم أَنه اذا قَالَ شَيْئا من أَمْثَال ذَلِك أَنه لم يذكر تَفْسِيرا وَلَا ذهب بِهِ مَذْهَب الشَّرْح للكلمة الْمَذْكُورَة فِي الْقُرْآن الْعَظِيم فَإِنَّهُ لَو كَانَ كَذَلِك كَانُوا قد سلكوا مسالك الباطنية وَإِنَّمَا ذَلِك ذكر مِنْهُم لنظير مَا ورد بِهِ الْقُرْآن فان النظير يذكر بالنظير فَمن ذكر قتال النَّفس فِي الْآيَة الْمَذْكُورَة فَكَأَنَّهُ قَالَ أمرنَا بِقِتَال النَّفس وَمن يلينا من الْكفَّار وَمَعَ ذَلِك فيا ليتهم لم يتساهلوا بِمثل ذَلِك لما فِيهِ من الْإِيهَام والإلتباس وَالله أعلم "[42]

وقد نقل الإمام قول النسفي والتفتازاني ما مع مافيه من حدة :" قال النسفي في العقائد: "النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطل: إلحاد"، وعلق التفتازاني في شرحه للعقائد على هذا بقوله: "سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معانٍ لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية". "[43]

المذهب الثاني: بعد أن ذكر الامام قول من أنكروا التفسير الصوفي نقل المذهب القائلين بهذا النوع من التفاسير. ولعل التفتازاني في شرحه للعقائد لما ذكر الرآي الأول استثنى من ذلك فئة منهم بقوله: "وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان"[44]

ونقل الإمام السنوسي رحمه الله عن السيوطي روايات الظهر والبطن نوردها كما يلي –قول الفريابي من حديث الحسن قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل آيَةً إِلَّا لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَكُلُّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَكُلُّ حَدٍّ مَطْلَعٌ»[45].

– أخرج الديلمي من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا (القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد)،

– أخرج الطبراني وأبو يعلى والبزار وغيرهم عن ابن مسعود موقوفًا (أن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع).

41 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج4، ص 223.

42 عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، فتاوى ابن الصلاح، تح: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم , عالم الكتب – بيروت، ط1، 1407هـ، ص197.

43 سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: 793 هـ)، شرح العقائد النسفية، تح: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ط1، 1987م، ص106.

44 التفتازاني ، شرح العقائد النسفية، مصدر سابق ص106.

45 رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن مرفوعاً(أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224 هـ)، فضائل القرآن للقاسم بن سلام ، تح: مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير (دمشق – بيروت)، ط1، 1415هـ– 1995م) حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ وَحَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل آيَةً إِلَّا لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَكُلُّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَكُلُّ حَدٍّ مَطْلَعٌ» وقد ذكر الامام السنوسي روايات أخرى.

– أخرج ابن حبان في صحيحه قال: أخبرنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن)

يقول الذكتور فضل حسن عباس بعد دراسته لروايات الحديث سنداً ومتناً :" لقد أطلت الكلام عن هذا الحديث، ولقد رأيتني مضطرًا إلى ذلك لأني رأيت كثيرًا من الأجّلة في تصانيفهم يمرون به دونما تعليق، بل ربما يشعر كلام كثيرين منهم بصحته، وذلك كله قد فتح لأصحاب الأهواء باب التأويل على مصراعيه فكل صاحب نحلة باطلة، أو بدعة زائفة او صاحب حقد دفين على هذا الدين وأهله، جعل من هذا الحديث منفذًا ينفذ منه إلى ما يريد، وأسال الله أن يلهمنا الصواب ويجنبنا الخطأ، وأكتفي بهذا القدر، والحق أن الإسرائيليات بما فيها من قصص وأخبار كانت من أعظم الأخطار على هذا الدين من ناحية، وعلى عقول بعض أهله وقلوبهم من ناحية أخرى"[46].

معنى الظهر والبطن والمطلع والحد: نقل الامام السونسي عن السيوطي – معنى الظهر والبطن ففي معناه أوجه:

– أَحَدُهَا: أَنَّكَ إِذَا بَحَثْتَ عَنْ بَاطِنِهَا وَقِسْتَهُ عَلَى ظَاهِرِهَا وَقَفْتَ عَلَى مَعْنَاهَا

–الثَّانِي: أَنَّ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا عَمِلَ بِهَا قَوْمٌ وَلَهَا قَوْمٌ سَيَعْمَلُونَ.

–الثَّالِثُ: أَنَّ ظَاهِرَهَا لَفْظُهَا وَبَاطِنَهَا تَأْوِيلُهَا

–الرَّابِعُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ– وَهُوَ أَشْبَهُهَا بِالصَّوَابِ: إِنَّ الْقِصَصَ الَّتِي قَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَمَا عَاقَبَهُمْ بِهِ ظَاهِرُهَا الْإِخْبَارُ بِهَلَاكِ الْأَوَّلِينَ إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ حَدَّثَ بِهِ، عَنْ قَوْمٍ، وَبَاطِنُهَا وَعْظُ الْآخَرِينَ وَتَحْذِيرُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا كَفِعْلِهِمْ فَيَحِلُّ بِهِمْ مِثْلَ مَا حَلَّ بِهِمْ.

الخامس: أَنَّ ظَهْرَهَا مَا ظَهَرَ مِنْ مَعَانِيهَا لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِالظَّاهِرِ وَبَطْنَهَا مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَرْبَابَ الْحَقَائِقِ. [47]

وقد انتصرالامام السنوسي لمذهبه بمجموعة من النقول عن علماء عمدة في التصوف[48] لا يسع المقام لذكرها كلها؛ لكن يمكن محاولة تصور مذهبه على النحو الآتي :

–أن للآية ظهر وبطن.

–وجود بطن للآية لا يعني لا معنى إلا هذا الذي قلناه، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعتها، ويفهمون عن الله ما يُفهمهم بفضله، ويفتحه على قلوبهم برحمته ومنته.

---

46 الأستاذ الدكتور فضل حسن عبّاس التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437هـ – 2016م، ص245.

47 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج4، ص 225.

48 كقول ابن سبع في شفاء الصدور، وشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في لطائف المنن، والشيخ محي الدين في الفتوحات، والشيخ أبو الحسن الشاذلي في الطبقات الكبر للشعراني، أبو القاسم القشيري في لطائف الاشارات، والشيخ زروق في الفتوحات الرحمانية في حل ألفاظ الحكم العطائية .

–أن فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الادراك فيه بالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط.

–لا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر، بل لابد منه أولاً، اذ لا مطمع في الوصول الى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن اذعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر، فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.

ويختم الامام كلامه عن تفاسير الصوفية ويختم رسالته بقوله :" فإذا علمت هذا كله، علمت أن ما يلقى إليهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هو من هذا القبيل، لا تصرُّف لعقولهم فيه، وإنما هي مواهب من الله تأتيهم على قدر استعدادهم ومراتبهم، جعلني الله وإياك ممن اقتفى سبيلهم، ودخل في حزبهم وشرب من مددهم شربا لا يظمأ بعده أبدا"[49]

ونخلص في الأخير بما قاله الإمام المقاصد والتفعيد الإمام الشاطبى بقوله:

الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الطاهرة وأصحاب البصائر إذا صحت على كمال شروطها على ضربين:

أ– ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات، فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق من البصيرة في حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك.

ب– ما يكون انفجاره من الموجودات كليا أو جزئيا ويتبعه الاعتبار في القرآن.

فإن كان الأول فهذا الاعتبار صحيح وهو معتمد على فهم باطن القرآن من غير إشكال، وإن كان الثاني فالتوقف على اعتباره في فهم باطن القرآن لازم وأخذه على إطلاقه ممتنع لأنه بخلاف الأول[50]

<u>خاتمة :</u>

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ومن خلال ما سبق ذكره يمكن أن نلخص ماجاء في هذه الورقات من نتائج كما يلي :

–الأستاذ الأكبر محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي المالكي الأشعري الجزائري المستغانمي الجقبوبي ، أبو عبد الله ، مؤسس الطريقة السنوسية.

2––يعتبر الإمام رحمه الله موسوعة علمية جمعت فنون العلم فقد بلغ عدد مؤلفاته العلمية 58 مؤلفاً تنوعت بين علوم القرآن والحديث والفقه والتزكية والسلوك وأصول الطرائق، مع الاشارة أن هذه المصادر منها ما هو مطبوع، ومنها المخطوط –وللأسف منها المفقود

49 السنوسي محمد بن علي، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، ص163.

50 الشاطبي ، الموافقات، ج4،ص253 .

3- للإمام رحمه الله رؤية جديدة في الاصلاح التربوي التي تراءات للإمام في ترحاله خاصة في مصر كما ترسخت لديه من خلال معرفته بطرق الصوفية وملازمته لها، أن يجد لنفسه طريقا يسلك به سبيل أصحاب الأرباب والسلوك، تجسد ذلك وظهر جليا من خلال تأسيس عدة زوايا: كزاوية البيضاء وزاية الجغبوب في ليبيا.

4- اتخذ الإمام السنوسي الاختصار منهجاً في كتابه، ومع قلة هذه الورقات إلا أنها حملت بحق لآلئ ودرر، فالرسالة جاءت في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، تضمنت المقدمة معنى التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً، كما خصص الباب الاول عن شروط تعاطي التفسير والتصدي له، بينما تكلم الباب الثاني على آداب التفسير في حال إلقاءه أما الباب الثالث فخصص للحديث عن طبقات المفسرين وتضمنت خاتمة الرسالة الكلام عن تفاسير الصوفية.

5- التفسير الفيضي أو الإشاري هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهرُ منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة مع التقيد بشروطه.

6-موقف الامام السنوسي من التفاسير الصوفية موقف المؤيد فمن خلال استقراء ماذكره في خاتمة كتابه والنقول التي استشهد بها عن علماء هم عمدة في التصوف، وان لكل آية ظهر وبطن، لكن في نفس الوقت كان يؤكد على :

أ-وجود بطن للآية لا يعني لا معنى إلا هذا الذي قلناه، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعتها، ويفهمون عن الله ما يُفهمهم بفضله، ويفتحه على قلوبهم برحمته ومنته.

ب-أن فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الادراك فيه بالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط.

ج-لا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر، بل لابد منه أولاً، اذ لا مطمع في الوصول الى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن اذعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر، فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب، فإذا علمت هذا كله، علمت أن ما يلقى إليهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هو من هذا القبيل، لا تصرُّف لعقولهم فيه، وإنما هي مواهب من الله تأتيهم على قدر استعدادهم ومراتبهم، جعلني الله وإياك ممن اقتفى سبيلهم، ودخل في حزبهم وشرب من مددهم شربا لا يظمأ بعده أبدا

7- الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الطاهرة وأصحاب البصائر إذا صحت على كمال شروطها على ضربين، أحدهما ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات، فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق من البصيرة في حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك، الثاني ما يكون انفجاره من الموجودات كليا أو جزئيا ويتبعه الاعتبار في القرآن، فإن كان الأول فهذا الاعتبار صحيح وهو معتمد على فهم باطن القرآن من غير إشكال، وإن كان الثاني فالتوقف على اعتباره في فهم باطن القرآن لازم وأخذه على إطلاقه ممتنع لأنه بخلاف الأول

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور الإفريقي المصري، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، د. طبعة.

2-أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ-1997م.

3-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر الطبعة 1979.

4-أبو حيان الأندلسي محمد ابن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

5-أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224 هـ)، فضائل القرآن للقاسم بن سلام ، تح: مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط1، 1415هـ- 1995م.

6-أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل،مكتبة الخانجي - القاهرة.

7-إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت ١٤٠٧هـ)، التَّصَوُّفُ .. المنشَأ وَالمَصَادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، ط1، 1406هـ-1986م .

8-أحمد صدقي التجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، ط1، 1967م.

9-بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث الطبعة الثالثة، القاهرة، مصر، سنة 1984.

10-الخازن (ت 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1415هـ.

11-الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1995.

12-سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: 793 هـ)، شرح العقائد النسفية، تح: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ط1، 1987م.

13-السنوسي محمد بن علي، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، تح: أحمد محمد جاد الله، دار الغوثاني للذراسات القرآنية ط1، 1444هـ-2023م.

14-السنوسي محمد بن علي، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن، ص78.

15-عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت، لبنان،ط2، 1400هـ-1980م.

16-عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، دار المعارف، ط5، القاهرة.

17-عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1393 هـ- 1974 م .

18-عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1393 هـ- 1974 م.

19-عبد المالك بن عبد القادر بن علي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، مطبعة دار الجزائر العربية 1386هـ-1966م.

20-عبد الوهاب الشعراني،الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية،طه عبد الباقي سرور، تح:السيد محمد عبد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م.

21–عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، فتاوى ابن الصلاح، تح: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم , عالم الكتب – بيروت، ط1، 1407هـ.

22–عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى،بيروت ، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ن.ط، د.ت.

23–فضل حسن عبَّاس التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437هـ– 2016م.

24–فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط2، 1407هـ–1986م.

25–الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثامنة، بيروت لبنان، 2005.

26–كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي ابن العديم (ت ٦٦٠)، بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب، تح:المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن – إنجلترا، ط1، 1438هـ–2016م.

27–مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423هـ–2002م.

28–محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ–1998م .

29–محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ج2، ص342.

30–محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1948م.

31–محمد كمال ابراهيم جعفر، التصوف طريقاً وتجربةً ومذهباً ، دار الكتب العلمية، 1970م.

32–محمد كمال ابراهيم جعفر، التصوف طريقاً وتجربةً ومذهباً ، دار الكتب العلمية، 1970م.

33–مشرف بن أحمد الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير و التنوير رسالة دكتوراه، إشراف : أمين محمد عطية باشة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة 2006.

34–مصطفى عبد الرزاق ، التصوف، ط دار الكتاب اللبناني بيروت.